سيـاق الحــال فـي خطبـة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مجلس يزيـــد

د. رفـاه عبد الحسين مهدي الفتلاوي
جامعـة الكوفـة / كليــة الفقـــه

The Situational Context in the Oration of Imam Zain el-Abedeen (pbuh) in Yazid's Assemblage

Dr. Rafa Abdul Hussein Mahdi al-Fatlawi
University of Kufa / College of Jurisprudence

Abstract

This research entitled "The situational context in the oration of Imam Zain el-Abedeen (pbuh) in Yazid's assemblage" deals with the great Imam who gains all the honorable values away from all the worldly joys for his soul was full of hope for God's mercy. There are no people in history of humanity who resemble Imam Zain el-Abedeen (pbuh) in his asceticism and piety except for his predecessors who enlightened the world with their beliefs and faithfulness in God. This Imam's conduct parallels the conduct of the prophets for he is ascetic and pious as Christ (pbuh), patient as Ayoub (pbuh), and firm as Mohammad (pbuh). It is enough for him that no one in humanity is called "Zainel-Abedeen"(the best worshiper) except him.

المقدمـــــة

جرى انجاز هذا البحث الموسوم بـ(سياق الحال في خطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مجلس يزيد) متناولة فيه هذا الإمام العظيم الذي تزيّن بكل فضيلة وشرف وابتعد ابتعاداً كاملاً عن جميع زخارف الحياة ومباهجها وامتلأت ذاته رجاءً وأملاً برحمة الله تعالى، فليس في تاريخ البشرية من يشابه الإمام زين العابدين (عليه السلام) في زهده وورعه إلاّ آباؤه الذين أضاءوا الدنيا بنور توحيدهم وإيمانهم العميق بالله تعالى .

لقد حكت سيرة هذا الإمام (عليه السلام) سيرة الأنبياء والمرسلين فقد ضارعهم في جميع اتجاهاتهم وقضاياهم فهو كالمسيح في زهده وتقواه وكالنبي أيوب (عليه السلام) في صبره وبلواه وكالنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في صدق عزيمته وسمو أخلاقه، وحسبه أنّه الوحيد في تاريخ الإنسانية والأمة الإسلامية عُرف بزين العابدين ولم يطلق هذا اللقب على أحد سواه .

ومَنْ منّا لا يعلم بمواقفه الشجاعة البطولية في الثورة الحسينية التي لا يعرف لها مثيل في التاريخ والتي من بينها أنّه حُمل إلى يزيد (لعنة الله عليه) واستهانته به (عليه السلام) ونعيه عليه ما اقترفه من جريمة عظيمة بقتله الإمام الحسين (عليه السلام) وسبيه لأهل بيته (عليهن السلام) وتهديد الطاغية يزيد للإمام بالقتل الذي لم يعنَ به ولم يبالِ له فقد سدّد له الإمام (عليه السلام) السهام النافذة في قلبه ببليغ منطقه حيث خطب في مجلسه، وقد كان لحديثه معه صدى هامٌ في الأوساط الرسمية وغيرها من عامة الناس مسلطاً الضوء على معالم الثورة الحسينية باثاً موجاتها على امتداد الزمن والتاريخ .

ولشجاعة الموقف وروعته وبلاغة الخطاب الذي قاله الإمام (عليه السلام) في مجلس يزيد حين اعتلى المنبر وأبكى العيون وهيمن على القلوب والمشاعر اختاره البحث ليكون خطاباً تطبيقياً لسياق الحال الذي يتعلّق بأبرز الأشخاص والشخصيات المشاركة في الحدث، وكذلك الحدث اللغوي للمشاركين، والحدث غير اللغوي للمشاركين، والأشياء الوثيقة الصلة بالموضوع، وتأثير الحدث اللغوي .

فسياق الحال إذن هو الظروف المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة أي دراسة الكلام في المحيط الذي وقع فيه وما أكثر الظروف المتعلقة بخطاب الإمام (عليه السلام) حين سيق هو وأهل بيت النبوة (عليهم السلام) إلى مجلس يزيد وما حدث من مواقف بينه وبين يزيد والسيدة زينب (ع)، وكيف كانت اللهجة المستعملة من قبل يزيد من حيث شدتها وتشفيه بقتل الحسين

(عليه السلام) ونشوة فرحه وما يقابل ذلك من هدوء الإمام (عليه السلام) واحتقاره ليزيد واستهانته بشأنه وغير ذلك من الظروف المتعلقة بالمقام والتي سيتم تفصيلها في إطار البحث .

وقد اقتضت طبيعة البحث ومحتواه أن يقسَّم على تمهيد ومبحثين، فضلاً عن المقدمة والخاتمة. فأما التمهيد فتناول دلالة السياق عند العرب في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، وكان الهدف منه تحديد المصطلح وبيان منهج الدراسة وغرضها وأسلوبِها وحدودها، وقد تضمّن تعريفاً موجزاً بمفهوم السياق وأهميته في الدراسات اللغوية الحديثة، وفي المبحث الأول تناولتُ دراسة دلالة سياق الحال عند العرب القدامى من لغويين وبلاغيين ومفسرين وأصوليين، وبيان وجهات نظر علماء اللغة المحدثين به، ومن ثَمّ حدِّد مفهوم دلالة السياق تحديداً يجمع بين الرؤية القديمة والحديثة، وبذلك يختطُّ البحثُ منهجَه الأساسي .

وكان محور المبحث الثاني محوراً تطبيقياً لخطبة الإمام زين العابدين (عليه السلام) في مجلس يزيد إذ طبّق فيها كل عناصر سياق الحال تطبيقاً مباشراً، وأمّا الخاتمة فتضمنت أهم النتائج التي توصّل البحث إليها . ومن الله التوفيق

التمهيـــد

سياق الحال لغة واصطلاحاً:

على الرغم من أنّ السياق يعدُّ من أكثر نظريات علم الدلالة تماسكا واضبطها منهجا، فأنه يعد من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق ومع ذلك فإنّ التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي كلاهما لا يتجاوز معنى التتابع والتتالي، أو الإيراد .

السياق لغة واصطلاحاً:

قال الجوهري: ((ويقال ولدت فلانة ثلاثة بنين على ساق واحدة أي بعضهم على اثر بعض ليست بينهم جارية ...والسياق نزع الروح))[1] .

وقال ابن فارس: ((السين والواو والقاف أصل واحد وهو حدو الشيء يقال ساق يسوق سوقا، والسِّيقة: ما استيق من الدواب . ويقال:سقت الى امرأتي صداقها، واسقته والسُّوق مشتقة من هذا، لما يساق إليها من كل شيء، والجمع أسواق، والساق للإنسان وغيره والجمع سُوق، وإنّما سميت بذلك لانّ الماشي ينساق عليها))[2].

أمّا الزمخشري فتناوله بقوله: ((تساوقت الإبل: تتابعت، وهو يسوق الحديث أحسن سياق، واليك يساق الحديث وهذا الكلام مساقه كذا، وجئتك بالحديث على سوقه: على سرده))[3]

وذهب ابن منظور إلى أنّ ((سوق السوق معروف، ساق الإبل وغيرها يسوقها سوقاً سياقاً ... وقد انساقت تساوقت الإبل تساوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة متساوقة ... والمساوقة المتابعة كأنّ بعضها يسوق بعضاً، والأصل في تساوق تتساوق كأنّها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعض ...))[4].

ومن كل ذلك نستطيع أن نقول إنّ معنى السياق يشير إلى التوالي والتتابع وسياق الكلام تتابعه وقد أكّد ذلك الدكتور تمام حسان بقوله: ((المقصود بالسياق: التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين: أولاهما: توالي العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، والسياق من هذه الزاوية يسمّى سياق النص . والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمّى السياق سياق الموقف))[5].

---

1 الصحاح 1138/2

2 معجم مقاييس اللغة 117/3

3 اساس البلاغة /314

4 لسان العرب 116,167/10

5 قرينة السياق /375

ويعّرف أيضاً بأنّه استعمال الكلمة في اللُّغة أو طريقة استعمالها، أو الدور الذي تؤديه الكلمة [1]، أو هو ((مجموع ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى))[2] .

وقد عرضنا تعريف المحدثين الاصطلاحي بسبب عدم وجود تعريف له من قبل القدماء ولكن هذا لا يعني عدم معرفتهم بل على العكس من ذلك فقد بحثوا فيه كثيراً وكتبوا بحوثاً مستفيضة بهذا الشأن ولكن بتسميات مختلفة ومفاهيم أخرى، وهذه مشكلة يعاني منها علم الدلالة العربي والعلوم العربية الأخرى وهي عدم وضع تسمية للمصطلحات، وبعضها غير وثيق وليس شاملاً لكثير من المباحث التي تناولوها في مختلف علوم اللغة والأدب .

وإذا ما أرادوا تسميتها فأنّهم يضعون لها مسميات عديدة وبعض آخر من المصطلحات بين بين أي وضعت لها مسميات متفق عليها، وهي منطبقة عليها تماما .

ومصطلح سياق الحال يمثّل أحد جزأي السياق إذ إنَّ السياق يتكون من سياق النص وسياق الحال .

فقد صيغ هذا المصطلح اللغوي بطريق التركيب الإضافي فهو مركب إضافي (سياق) مضاف و (حال) مضاف إليه ليكون مصطلحا فنيا في ميدان علم اللغة الحديث وقد دخل مصطلح سياق الحال إلى المعجم العربي ترجمة للمصطلح الانكليزي (situational tional context) أو (context of situation) وهذه أكثر الترجمات شيوعاً واستخداماً بين اللغويين العرب المحدثين [3] . فلذلك اشرنا أولاً إلى السياق لغة واصطلاحاً وبعد ذلك نتناول سياق الحال بالتفصيل .

وسياق الحال هو نوع من التجريد من البيئة أو الوسط الذي يقع فيه الكلام ويشمل أنواع النشاط اللغوي جميعا كلاماً وكتابة[4] .

ويدل على العلاقات الزمنية والمكانية التي تجري فيها الكلام[5] . أو هو على حد تعبير عبد القادر عبد الجليل ((مجموعة الظروف التي تحيط بالحدث الكلامي ابتداءً من المرسل والوسط وحتى المرسل إليه بمواصفاتهم وتفصيلاتهم المتناهية في الصغر))[6] فمن اجل فهم نص ما يجب معرفة كل القرائن والظروف التي تحيط به باعتبارها تساعد بشكل كبير في إزالة اللبس والغموض عن النص .

ويطلق على سياق الحال أكثر من مصطلح منها: مسرح اللغة، أو السياق العام، أو سياق الموقف، أو الماجريات، أو سياق المقام .وتقف هذه المصطلحات في مقابل مصطلح سياق المقال، ولعلَّ أقدم عبارتين جمعتا فكرة السياق هما اللتان نادى بهما البلاغيون العرب بقولهم:(لكل مقال مقام) و(لكل كلمة مع صاحبتها مقام) وقد عدتا من نتائج المغامرات الفكرية في دراسة اللغة في الفكر المعاصر[7] .

ففكرة المقام هي المركز الذي يدور حوله علم الدلالة، وهو الأساس الذي تتبني عليه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال[8] .

وتنسب نظرية سياق الحال إلى العالم اللغوي فيرث من مدرسو لندن اللغوية وقد توصل إليها من خلال أبحاثه الحقلية في الانثربولوجيا الاجتماعية ثم قدّم شرحاً وافياً لها في بحثه عن (مشكلة المعنى في اللغات البدائية) والجدير بالذكر

---

1 ينظر: علم الدلالة: احمد مختار عمر /86

2 المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث: محمد احمد /116

3 ينظر: فصول في علم الدلالة /125, فقه اللغة في الكتب العربية /عبده الراجحي /166 , علم الدلالة: احمد مختار /70, علم اللغة: السعران /338 ,سياق الحال في كتاب سيبويه: 21

4 ينظر: علم اللغة: السعران /310

5 ينظر: مباديء اللسانيات: احمد قدور/298

6 علم اللسانيات الحديثة: عبد القادر عبد الجليل /543

7 ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: تمام حسان/20 ,21

8 ينظر: المصدر نفسه/37

أنّ هذه النظرية ليست من ابتكار فيرث وإنّما ترجع بعض ملامحها إلى لغويي مدرسة لندن من القرن العشرين والى أستاذه مالينوفسكي .

ويمكن استخلاص رؤية فيرث في إطار نظريته السياقية من خلال النقاط الآتية:

1- الكلام الفعلي نفسه .

2- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع إن وجدوا وبيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي هل يقتصر دورهم على الشهود أم هل إنهم شاركوا في الكلام والنصوص التي تصدر عنهم .

3- الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام وموقفه .

4- أثر الكلام الفعلي في المشتركين كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك وغير ذلك .

5- العوامل والظاهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كمكان الكلام وزمانه والوضع السياسي وحالة الجو إن كان لها دخل .

وتتأتى أهمية سياق الحال من كونه حصيلة الظروف الواردة في الوقت الذي تمَّ فيه أداء المقال طبيعية كانت أم اجتماعية أو غير ذلك وهذه المقامات الاجتماعية تمثّل نسيج الثقافة بمعناها الانثربولوجي الأعم لا بمعناها التربوي الأخص أي أنّها من نتاج العادات والتقاليد والأعمال اليومية والذاكرة الشعبية[1] . فكل هذه الأشياء التي تمثل سياق الحال يكون لها دخل كبير وأثر بالغ في الوصول إلى المعنى الحقيقي المقصود في العملية الخطابية لذلك يرى اولمان أنّ نظرية السياق إذا طبّقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى وقد أدّت إلى نتائج باهرة فقد أحدثت ثورة في طرق التحليل الأدبي ومكّنت الدراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أسس حديثة أكثر ثباتاً . وأنّها قدّمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات[2] .

المبحث الأول

سياق الحال عند اللغويين

أ-سياق الحال عند اللغويين العرب القدامى:

إنّ نظرية سياق الحال التي يعدها المحدثون من المفاخر اللغوية في التفكير الغربي لم تكن غائبة عن اللغويين العرب القدامى من بلاغيين ونحويين ومفسرين وأصوليين فقد أدركوها وكانت واضحة في أذهانهم شأنها شأن النظريات اللغوية الأخرى فعند النظر في تراثنا البلاغي القديم نجد أنّ أحد المعايير البلاغية المهمة في علم المعاني هو مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

ويعدُّ الجاحظ من أوائل البلاغيين الذين أسسوا لفكرة مقتضى الحال في كتابيه البيان والتبيين والحيوان فقد أراد الجاحظ للغة القرآن بالدرجة الأولى أن تكشف من خلال القراءة السياقية التي تربط بين المقولات والمقامات، ولذلك انبرى مشروعه الأساسي على الغاية التي كان يرومها وهي الكشف عن الاستخدامات المختلفة للغة، وتفسير الرؤى المختلفة للعالم[3] .

ولابن قتيبة وقفة مع هذا الموضوع بل إنَّ معظم مشاريعه قامت على هذا الأساس فهو في كل مشروع يرسم لنفسه نهجا يخلص به أهدافه التي يود الوصول إليها، ويظهر هذا بشكل خاص في مشاريعه الأربعة: أدب الكاتب، والشعر والشعراء، وعيون الأخبار، وتأويل مشكل القرآن .

---

1 ينظر: نفسه /41-47

2 ينظر: دور الكلمة في اللغة: اولمان /73

3 ينظر: الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى:جلال الدين زرال/436

وقد التفت المفسرون إلى أهمية سياق الحال إذ تمثل عندهم فيما أطلقوا عليه أسباب النزول وبدأوا بذكرها عند تفسير الآيات وحدّدوا وظائفها وفوائدها المتمثلة في الوقوف على المعنى عند معرفة عناصر سياق الحال من خلال سبب النزول وقد اشترطوا في من يتصدّى لتفسير القرآن الكريم وتأويله شروطاً لها علاقة بسياق الحال[1] .

وقد بدت علاقة أسباب النزول بسياق الحال واضحة عند الزركشي في حديثه عن فوائدها بقوله: ((واخطأ من زعم أنه لا طائل تحته لجريانه مجرى التاريخ، وليس كذلك بل له فوائد منها: وجه الحكمة الباعثة على تشريع الحكم ومنها تخصيص الحكم به عند من يرى أنّ العبرة بخصوص السبب ومنها الوقوف على المعنى ...))[2].

وهذه النظرية كانت واضحة أيضاً عند الأصوليين ومنهم ابن القيم الجوزية الذي قال ((السياق يرشد إلى تبيين المجمل وتعيين المحتمل))[3] وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته .

وهذه الحقيقة المنهجية نجدها أيضاً لدى الشاطبي الذي تأكدت لديه أهمية الوعي بالظروف والملابسات المحيطة بالنص فضلا عماّ توصي به الدلالات اللغوية لمفرداته ومكوناته العامة[4] .

أمّا النحويون فلا ينكر فضلهم فيه بدليل ما ذكروه في كتبهم فهم أول من قال بمراعاة الأحوال المحيطة بكل من المتكلم والمخاطب إذ إنّ الفكر العربي قد تخطّى حدود الشكل في الدرس النحوي وقد أرسى علماء النحو دعائم معنوية عبّرت عن مقاصد المتكلمين في الميادين المختلفة منها التي يدّعي المحدثون أنهم قد ابتكروها أو خاضوا فيها لأول مرة[5] .

ومما لاحظناه على النحويين القدامى أنّهم لم يفصلوا اللغة عن محيطها الخارجي لأنّهم لم يقتصروا على النظر في بنية النص اللغوي كما لو كان شكلاً منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به وإنّما اخذوا مادتهم اللغوية –على ما يبدو من معالجتهم لها – على أنّها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه كما فطنوا إلى أنّ الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي وإنّ هذه الوظيفة وذاك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوص وأحداث فقد ظهر هذا كله في دراستهم وإن لم ينصوا عليه مبدأ من مبادئ التقعيد أو أصلاً من أصول نظريتهم اللغوية[6] .

ب–سياق الحال عند اللغويين المحدثين:

إنّ نشأة فكرة سياق الحال وتطورها واكتمالها نظرية متكاملة الجوانب النظرية والتطبيقية كان على يد أصحاب المدرسة الاجتماعية الانكليزية وكان المعنى هو الموجه الأساس في ظهور هذه النظرية إلى الوجود لأنّ مشكلة البحث عن المعنى أدّت إلى ظهور نظريات عدة كالنظرية الذهنية والنظرية السلوكية والنظرية الاشارية والنظرية التحليلية والنظرية السياقية وهذه الأخيرة ارتكزت على منهجين هما: المنهج الوظيفي والمنهج الاجتماعي[7].

فقد كانت البدايات الأولى لنشأة فكرة سياق الحال عند بلومفيلد الأمريكي رائد المدرسة السلوكية إحدى اكبر المدارس اللغوية الوظيفية التي ترتكز على الجانب المادي والنفسي وتربط الدلالة والسياق بهذا الجانب ويرى هذا المنهج أنّ لا قيمة للألفاظ تذكر خارج استعمالها وتداولها[8] .

---

1 ينظر: البرهان في علوم القرآن: الزركشي 13/1

2 المصدر نفسه 22/1–26

3 بدائع الفوائد 9/4

4 ينظر: الموافقات 413/3

5 ينظر: سياق الحال في كتاب سيبويه /32

6 ينظر: علم اللغة الاجتماعي: كمال بشر /66

7 ينظر: الدلالة السيافية عند اللغويين /190

8 ينظر: علم اللغة /123 , الدلالة السياقية عند اللغويين /193

فقد لفت بلومفيلد الانتباه إلى أهمية الموقف والاستجابة التي تستدعى لدى السامع في تحديد معنى الصيغة اللغوية[1]. وتناول المتكلم و السامع بالتحليل، فجعل الكلام بديلا من استجابة عضوية لمثيرٍ معين[2] .

فقد عرفت مدرسة لندن بالمنهج السياقي الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعية للغة[3]، فنراه ينص على أنّ اللغة تدرس في ضوء الظروف الاجتماعية المحيطة بها؛ لأنّها مزيج من عوامل العادة والعرف والتقليد وعناصر الماضي والإبداع، وكل ذلك يشكّل لغة المستقبل، وعندما تتكلّم فإنك تصهر كل هذه العوامل في خلق فعلي ملفوظ، و نتاج لغتك وشخصيتك هو أسلوبك، وفى هذا الارتباط حقل واسع للبحث في الأسلوبية[4].

وقد طوّر هاليدي مفهوم سياق الحال من بعد فيرث وأقام تطويره على أساس مفهوم التنبؤ الذي يقدمه سياق الحال لإنجاح عملية الاتصال على الرغم من وجود بعض معيقات الاتصال أحيانا وقد قدّم هاليدي ثلاثة جوانب تحدد مجتمعة سياق النص هي التي تجعلنا قادرين على التنبؤ بما يقوله الآخرون وهذه الجوانب هي: المجال ويقصد به موضوع النص، ونوع المشاركة والمراد به طبيعة العلاقة بين المشاركين في النص، والصيغة وهي الوسيلة أو قناة الاتصال التي يتحقق من خلالها النص في الكتابة أم النطق [5] .

أمّا اللغويون المحدثون العرب، فقد تولّد اهتمامهم بدراسة السياق بتأثير واضح من نظرية فيرث السياقية؛ لأنّهم تلقوا هذا العلم على يديه – بشكل مباشر أو غير مباشر – ومن أمثلة هؤلاء الدكتور تمام حسان والدكتور كمال بشر والدكتور محمود السعران وغيرهم، و يظهر ذلك بجلاء في مؤلفاتهم العلمية[6] .

أمّا ردة الله فقد كان له رأي آخر في هذه النظرية مشيراً إلى أنّ هناك أموراً مهمة يمكن أن يقدمها سياق الموقف للمساعدة على فهم النصوص واكتمال بنائها الدلالي في ذهن المتلقي اسماها معضدات الكلام وقيوده الحركية أي كل ما يتعلق بالحركات الجسمية والإيماءات المصاحبة للكلام ؛ ويدخل في ذلك حتى تقدير المسافة بين المتكلمين ولثقافات الشعوب المختلفة تأثير في تنويع معضدات الكلام وقيوده بل إنّ الاهتمام بمثل هذه المعضدات قد يقود إلى تواصل ناجح وقد يكون فقدها سبباً في إخفاق الاتصال أحيانا في بعض مستويات أو أنواع المشاركة في الخطاب كما أنّ بعضها يمكن الاستغناء عنه دون عنت في فهم المقصود وخصوصاً في المستوى الرسمي من الكلام، أو ما يقوم من الكلام على مبادئ البحث العلمي[7] .

وقد قسّم فريد عوض حيدر السياق على نوعين لا ينفصلان بقوله: ((السياق نوعان لا ينفصلان: سياق لغوي، وسياق الحال والأول يعتمد على الكلام المنطوق، والثاني يعتمد على الظروف والملابسات المحيطة بالحدث الكلامي وهذه الظروف الملابسة للحدث الكلامي تشمل بقية أنواع السياق))[8] .

وفي ختام هذا المبحث أود أن أشير إلى أنّ علماء علم المعاني اهتموا في تعريفهم مقتضى الحال بالسامع والمتكلم والتعريف يقتضي أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم حتى يأتي بالكلام المتصف بما يتطابق مع حال السامع وهذه هي الخصوصية المرادة الزائدة فوق المعنى الأصلي الذي يؤديه الكلام، ولا شك أنّ مصطلح سياق

---

1 Geoffrey Leech: Semantics، P. 62، Penguin Books، Second Edition، 1981.

2 ينظر: مناهج البحث في اللغة: تمام حسان/243

3 ينظر: علم الدلالة: احمد مختار /67

4 J. R. Firth: Papers in Linguistics. P. 184، London، Oxford University PRESS، Amen House، First edition 1957، Reprinted 1958، 1961 and 1964.

5 ينظر: علم اللغة النظامي: محمود احمد نحلة /61

6 ينظر: مناهج البحث في اللغة 251، دراسات في علم اللغة:كمال بشر/ 64 – 66، علم اللغة / 337 – 341.

7 ينظر: دلالة السياق: ردة الله الطلحي/617

8 علم الدلالة: فريد عوض/163

الحال في علم اللغة الحديث أوسع دلالة من مصطلح مقتضى الحال عند علماء علم المعاني العرب فمقتضى الحال يدلُّ على جزء من دلالة مصطلح سياق الحال .

ولكن هذين المصطلحين يتفقان في أهم خاصية وهي أنّهما يمثلان ظاهرة واحدة أو جانباً واحداً اتفق عليه علماء علم المعاني وعلماء علم اللغة الحديث هذا الجانب هو أنّهما جميعا يشيران إلى شيء زائد وخارج نطاق اللغة وهو الجانب الاجتماعي المرتبط بالمتكلم والسامع وغيرهما من عناصر سياق الحال ولكن يمكن استعمال مصطلح مقتضى الحال ترجمة للمصطلح (context of situation) بمعناه الواسع لهذا المصطلح وبذلك يكون المصطلح القديم ناله نوع من توسيع الدلالة .

المبحث الثاني

سياق الحال في خطبة الإمام زين العابدين (ع) في مجلس يزيد

كان الإمام زين العابدين (ع) من أقوى العوامل في تخليد الثورة الحسينية وتفاعلها مع عواطف المجتمع وأحاسيسه، وذلك بمواقفه الرائعة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلاً في دنيا الشجاعة والبطولة، وكان من بينها أنه حين حُمل إلى ابن مرجانة أقذر إرهابي على وجه الأرض استهان الإمام به ونعى عليه ما اقترفه من عظيم الجريمة والإثم وقابله الطاغية بالتهديد والقتل إلاّ أنّ الإمام (عليه السلام) لم يعنَ به وسدد له السهام النافذة في قلبه ببليغ منطقه وقد كان لحديثه معه صدى هامٌّ في الأوساط الرسمية وغيرها من عامة الناس وظل يلقي الأضواء على معالم الثورة الحسينية، ويبثُّ موجاتها على امتداد الزمن والتاريخ .

أمّا خطابه في بلاط يزيد فإنّه من أروع الوثائق السياسية في الإسلام ولا أكاد اعرف خطاباً سياسياً ابلغ ولا اشد تأثيراً منه في إيقاظ الجماهير وتوعية الرأي العام، فقد سدَّ على يزيد كل نافذة يسلك منها للدفاع عن نفسه وتبرير جريمته في قتله لسيد شباب أهل الجنة وإبادته للعترة الطاهرة، واخذ الناس يتحدثون بإعجاب وإكبار عن خطاب الإمام الذي كان من ثمرات النهضة الحسينية وصفحة من صفحاته المشرقة .

وعند المباشرة بتحليل خطبة الإمام (عليه السلام) في مجلس يزيد لعنة الله عليه تحليلاً لغوياً على ما يسمّى بسياق الحال ينبغي الالتفات إلى جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية وهذه العناصر هي:

1-شخصية المتكلم والسامع والتكوين الثقافي لهما والشخصيات التي شهدت الكلام:

اشتمل مجلس يزيد على كثير من الشخصيات منها ما هو أساسي كالإمام زين العابدين (عليه السلام) والسيدة زينب (عليها السلام) ويزيد لعنة الله عليه ومنها ما هو ثانوي متمثلاً بالمنهال بن عمر والرجل الشامي وغيرهم .

فالمتكلم تمثل بشخصية الإمام (عليه السلام) ومن حيث تكوينه الثقافي فهو علم شاهق في هذه الدنيا لا يدانيه احد في فضائله وعلمه وتقواه، برز على الصعيد العلمي إماماً في الدين ومناراً في العلم ومرجعاً لأحكام الشريعة وعلومها ومثلاً أعلى في الورع والعبادة والتقوى .اعترف المسلمون جميعاً بعلمه واستقامته وأفضليته وانقاد الواعون منهم إلى زعامته وفقهه ومرجعيته وهو أحد الأئمة الاثني عشر (عليهم السلام) الذين نصّ عليهم النبي (صلى الله عليه وآله) إذ قال: ((الخلفاء بعدي اثنا عشر كلهم من قريش))[1] .

فهو رابع أئمة أهل البيت (عليهم السلام) وجده الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأول من اسلم وآمن برسالته، وجدته فاطمة الزهراء بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله) وبضعته وفلذة كبده وسيدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها . وأبوه الإمام الحسين (عليه السلام) احد سيدي شباب أهل الجنة سبط الرسول وريحانته وهو الذي استشهد في كربلاء يوم عاشوراء دفاعاً عن الإسلام والمسلمين .

1 اثبات الهداة 320/2 , اعلام الهداية 17/6

أمّا السامع فهو يزيد بن معاوية لهنة الله عليه إذ وصفه بقوله: ((كان يزيد بن معاوية أول من سنّ الملاهي في الإسلام من الخلفاء وآوى المغنين واظهر الفتك وشرب الخمر))[1]، أمّا الذهبي فقال: ((كان ناصبياً فظاً غليظاً جلفاً يتناول المسكر ويفعل المنكر افتتح دولته بمقتل الحسين الشهيد واختتمها بواقعة الحرة فمقته الناس))[2] .

إنّ ما اقترفه يزيد من سفكه لدماء العترة الطاهرة (عليهم السلام) فإنّه مدفوع بذلك بحكم نشأته ومواريثه فجدته هند هي التي لاكت كبد سيد الشهداء حمزة وجده أبو سفيان العدو الأول للإسلام وأبوه معاوية الذي أراق دماء المسلمين وانتهك جميع ما حرمه الله فاقتراف الجرائم من عناصره وطباعه التي فطر عليها .

ومن الشخصيات الأخرى التي شهدت الكلام بين الإمام (عليه السلام) ويزيد ودائع الرسالة وعقائل الوحي سبايا أهل البيت (عليهم السلام) وهنّ في حالة مشجية تذوب من هولها النفوس وما حدث من أحداث كثيرة تمثلت بموقف بطلة كربلاء السيدة زينب (عليها السلام) وهي تخطب في مجلس يزيد وهو من أروع مواقف الدفاع عن الحق وتحدي جبروت الطغيان والظلم فقد أعلنت السيدة زينب الإدانة والاستنكار في مجلس يزيد لما ارتكبه من جرائم بحق لهل البيت (عليهم السلام) وأوضحت مظلومية أهل البيت وعمق مأساتهم بقتل رجالات أهل البيت وسوق نسائهم سبايا بتلك الحالة المفجعة وترك جثث أهل البيت (عليهم السلام) دون مواراة كما توبخه بشدة على أقواله التي تنضح كفراً وتشكيكاً في الدين وتعنّفه على ما فعله برأس أخيها الحسين (عليه السلام) فخطبت خطبتها الشهيرة في مجلسه لعنة الله عليه والتي تعدّ وثيقة فكرية سياسية سلطت الضوء على خلفيات المعركة بين أهل البيت والأمويين كما ناقشت بعض التفاصيل والقضايا المهمة في تلك المعركة وقدمت استشرافاً وتصوراً مستقبلياً لآثار المعركة ونتائجها[3] .

ومن الشخصيات الأخرى التي كانت حاضرة في مجلس يزيد المنهال بن عمر الذي التقى بالإمام وبادره قائلاً: كيف أمسيت يا بن رسول الله ؟ فقال له الإمام: أمسينا كبني اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم . يا منهال أمست العرب تفتخر على العجم بأن محمداً منهم، أمست قريش تفتخر على سائر العرب بأن محمداً منها وأمسينا أهل بيت محمد ونحن مغصوبون مظلومون مقهورون مقتّلون مثبورون مطرودون فإنا لله وإنا إليه راجعون[4] .

وكان في مجلس يزيد أيضاً حبر اليهودي الذي أُعجب بالإمام زين العابدين (عليه السلام) فقال ليزيد من هذا الغلام؟ وسأله عن أبيه، وأمه وجده فأجابه يزيد لعنه الله عليه هو علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب وأمه بنت محمد فقال له حبر: يا سبحان الله ! هذا ابن بنت نبيكم قتلتموه، بئسما خلفتموه في ذريته، فو الله لو ترك نبينا موسى بن عمران فينا سبطاً لظننت أنّا كنا نعبده من دون ربنا وأنتم فارقكم نبيكم بالأمس فوثبتم على ابنه وقتلتموه سوءة لكم من أمة فغضب الطاغية منه[5].

وممن كان حاضراً أيضاً رجل من الشام طلب من يزيد أن يهبه فاطمة بنت الحسين قائلاً: يا أمير المؤمنين هب لي هذه الجارية فردت عليه السيدة زينب (عليها السلام) كذبت والله ولؤمت ما ذاك لك ولا له! فغضب يزيد وقال: كذبت إنّ ذلك لي ولو شئت لفعلت ! قالت: كلا والله ما جعل الله لك ذلك إلا أن تخرج من ملتنا وتدين بغيرها فاستطار يزيد غضباً وقال: إياي تستقبلين بهذا؟ إنّما خرج من الدين أبوك وأخوك . قالت: بدين الله ودين أبي ودين أخي اهتديت أنت وجدك وأبوك إن كنت مسلماً قال: كذبتِ يا عدوة الله! قالت: أنت أمير تشتم ظالماً وتقهر بسلطانك فكأنه استحى وسكت . فعاد الشامي فقال: هب لي هذه الجارية فقال يزيد أعزب وهب الله لك حتفاً قاضياً [6].

---

1 الاغاني 68/16

2 سير اعلام النبلاء 37/4

3 ينظر: المرأة العظيمة /205

4 ينظر: موسوعة سيرة اهل البيت 192/15

5 ينظر: موسوعة سيرة اهل البيت194/15, 195

6 ينظر: اعلام الهداية 64/6, 65

2-العوامل والظواهر الاجتماعية المتمثلة بمكان الكلام وزمانه والوضع السياسي وحالة الجو:

حملت ودائع الرسالة (عليه السلام) إلى الشام وهنّ في حالة مشجية وقد خرجت الكوفة بجميع طبقاتها لتوديع السبايا حيث عجّ الرجال والنساء بالبكاء وانطلق الركب في مسيرته نحو الشام حتى انتهت إلى القرب من دمشق فأقيمت هناك حتى تتزين البلد بمظهر الزهو والأفراح، ولمّا تزينت دمشق بأبهى زينة أُدخلت سبايا آل محمد (صلى الله عليه وآله) وسط هالة من التهليل والتكبير للنصر الذي أحرزه حفيد أبي سفيان على حفيد رسول الله (صلى الله عليه وآله)[1] .

ويصف الأستاذ عبد الباسط الفاخوري حالة قافلة السبايا إلى الشام بقوله: ((ثم إنّ عبيد الله جهّز الرأس الشريف وعلي بن الحسين ومن معه من حرمه بحالة تقشعر منها ومن ذكرها الأبدان وترتعد منها مفاصل الإنسان، بل فرائص الحيوان))[2] .

فقبل إدخالهم على يزيد أوقفوهم فترة على درج باب المسجد حيث مكان إيقاف سبي الكفار ثم أتوا إليهم بحبل أوثقوهم به كتافاً وقد كانت بداية الحبل في عنق علي بن الحسين ونهايته في عنق السيدة زينب وساقوهم بإذلال وكلّما قصروا عن المشي ضربوهم بالسياط والسبايا يكبرون ويهللون حتى أوقفوهم بين يديّ يزيد في مجلسه وهو متربع على سريره فالتفت إليه علي بن الحسين قائلاً: ما ظنك بجدنا رسول الله لو يرانا على مثل هذه الحالة؟ فتأثّر يزيد ولم يبقَ احد في المجلس إلاّ وبكى وأمر يزيد بالحبال فقُطعت[3]. والتفت يزيد إلى زين العابدين (عليه السلام) فقال له: أيه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت، فأجابه شبل الحسين بكل هدوء واطمئنان:﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلاّ في كتاب من قبل أن نبرأها أنّ ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحب كلّ مختال فخور﴾[4]، وتميّز الطاغية غضباً وذهبت نشوة أفراحه وتلا قوله تعالى:﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾[5]، فقال له (عليه السلام): (هذا في حقّ من ظلم لا في حق من ظلم) وزوى الإمام (عليه السلام) بوجهه عنه احتقاراً له، واستهانة بشأنه[6] .

وأذِن يزيد للناس إذناً عاماً وقد ازدحم بهو قصره بمختلف الطبقات وهم يهنئونه بالنصر الكاذب وهو مسرور حيث أوعز إلى الخطيب أن يعتلي المنبر وينال من الإمام الحسين وأبيه (عليه السلام) فصعد الخطيب وبالغ في ذم العترة الطاهرة وأثنى على يزيد فانبرى إليه الإمام فصاح به: ويلك أيها الخاطب واتجه الإمام إلى يزيد وقال له: أتأذن لي أن اصعد فأتكلم بكلمات فيهن لله رضا ولهؤلاء الجالسين أجر وثواب ؟ فبهت الحاضرون وتعجبوا منه فرفض يزيد طلب الإمام إلى أن ألحّ عليه الحاضرون بالسماح له حيث إنهم لا يعرفون الإمام وحسبوا أنه كبقية الناس ولكن الطاغية يعرفه فقال لهم: أنه من أهل بيت قد زقّوا العلم زقّاً واخذوا يلحون عليه إلى أن سمح له في الخطاب فاعتلى الإمام (عليه السلام) المنبر وخطب خطاباً رائعاً – وهو محور البحث هذا – لم يشهد له التاريخ مثيلاً في روعته وبلاغته وقد أبكى العيون واضطرب الجالسون وهيمن على قلوبهم ومشاعرهم[7].

وبعد ذلك اجتمع الإمام بالطاغية فعرض عليه أن يطلب منه حاجة فلم يطلب منه سوى أن يريه وجه أبيه الحسين (عليه السلام) وان يعيد ما أخذ من النساء من المواريث النفيسة التي ورثوها من جدهم (صلى الله عليه وآله) كعمامته ودرعه وسيفه وغير ذلك

---

1 ينظر: موسوعة سيروا هل البيت 184/15, 185

2 حياة الامام الحسين: باقر القرشي 367/3

3 ينظر: مقتل الحسين: عبد الرزاق المقرم/350

4 الحديد/22, 23

5 الشورى /30

6 ينظر: الارشاد: المفيد 120/2 , موسوعة سيرة اهل البيت 186/15 , 187

7 ينظر: موسوعة سيرة اهل البيت 188/15 , اعلام الهداية 64/6

مما لا يقدر بثمن ولا مال، فرد عليه يزيد قائلاً: أمّا وجه أبيك فلن تراه وأمّا ما أُخذ منكم فيرد إليكم وأمّا النسوة فلا يردهنّ غيرك وقد عفوت عن قتلك .

وعهد يزيد إلى النعمان بن بشير أن يصاحب ودائع رسول الله (ﷺ) ويردهنّ إلى يثرب وأمر باخراجهنّ ليلاً خوفاً من الفتنة واضطراب الأوضاع فأخذ الركب يجد في سيره وصولاً إلى مدينة جدهم رسول الله (ﷺ).

3-لقد اقتصر خطاب الإمام (عليه السلام) على التعريف بالأسرة النبوية وما لها من عظيم الفضل والشأن عند الله وما قامت به من أعمال جهادية في سبيل الله كما تعرض لما جرى عليهم من صنوف القتل والإرهاب ولم يتعرض لغير ذلك وفيما احسب أن الاقتصار على ذلك من أروع صور الالتفات ومن أدق أنواع البلاغة فقد كان المجتمع الشامي لا يعرف شيئا عن أهل البيت سوى ما كان يفتعله ضدهم وعّاظ السلاطين فقد غذّتهم السلطة وعملاؤها بالعداء لآل البيت (عليه السلام) وبالولاء لبني أمية وعلى أي حال فقد اثّر خطاب الإمام في أوساط أهل الشام تأثيراً بالغاً وجعل بعضهم يسر إلى بعض بدجل الإعلام الأموي وبالخيبة والخسران الذين آلوا إليهما حتى تغيرت أحوالهم مع يزيد واخذوا ينظرون إليه بازدراء واحتقار .

فأدّى كلام الإمام عليه السلام إلى أن تتبخّر كل الدعايات المظلّلة التي روّجتها السياسة الأموية، والتي تركّزت على: أنّ الأسرى هم من الخوارج فبدّل نشوة الانتصار إلى حشرجة الموتى في حلوق المحتفلين، وفي التزام الإمام السجّاد (عليه السلام) بذكر هويّته الشخصية فقط في هذه الخطبة، حكمة وتدبير سياسيّ واع، إذا لم يكن له في مثل هذا المكان والزمان، أن يتطرّق إلى شيء من القضايا الهامّة، وإلاّ كان يمنع من الكلام والنطق، وأمّا الإعلان عن اسمه فهي قضية شخصية، وهو من أبسط الحقوق التي تمنح للفرد وإن كان في حالة الأسر.

4-أثر الكلام الفعلي في المشتركين وابرز المعاني التي خرجت منه كالاقتناع أو الألم أو الإغراء أو الضحك وغير ذلك:

يمكن بيان وتعداد ابرز هذه المعاني بالآتي:

أ-كلامه (عليه السلام) لخطيب المنبر حين أمره الطاغية بالصعود على المنبر لذم الإمام وأبيه خاطبه الإمام (عليه السلام) بالذم والتحقير له قائلاً: (ويلك أيها الخاطب، اشتريتَ رضا المخلوق بسخط الخالق فتبوأ مقعدك من النار)).

ب- أمّا الخطاب الغليظ فنجده في سياق كلام يزيد للإمام علي بن الحسين (عليه السلام) حين غضب وتلا قوله تعالى:﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾[1] .

ج- ذكّر الإمام (عليه السلام) بكل المواقع الجغرافية، والمواقف الحاسمة والذكريات العظيمة في الإسلام، وربط نفسه بكلّ ذلك، فسرد – وبلغة شخصية – حوادث تاريخ الإسلام، معبرا بذلك عن أنّه يحمل هموم ذلك التاريخ كلّه على عاتقه، وأنّه حامل هذا العبء، بكلّ ما فيه من قدسيّة، ومع هذا فهو يقف أسيرا أمام أهل المجلس ونجد هذا في قوله (عليه السلام): ((أنا ابن المؤيد بجيرئيل المنصور بميكائيل أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين وقاتل الناكثين والمارقين والمجاهد أعداءه الناصبين وافخر من مشى من قريش أجمعين وأول من أجاب واستجاب لله من المؤمنين وأقدم السابقين وقاصم المعتدين ومبير المشركين وسهم من مرامي الله على المنافقين ولسان حكمة العابدين ...))[2] .

د- كان ما قام به الإمام من تأطير خطبته بالإطار الشخصي مانعاً من إثارة غضب يزيد وحقده، لكن لم يفت الإمام اقتناص الفرصة السانحة لكي يبثّ من خلال التعريف، بشخصه وهويته، التنويه بشخصيته وبقضيته وبهمومه، ولو بالكناية التي كانت أبلغ من التصريح فلذلك لم يتعرّض الإمام عليه السلام لذكر مساوئ الأمويين، ولم يذكر شيئا من فضائحهم، بالرغم من توقّع يزيد نفسه لذلك ونجد ذلك في قوله (عليه السلام): ((أيها الناس أُعطينا ستاً وفُضلنا بسبع: أُعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين وفُضلنا بأنّ منّا النبي المختار محمداً (ﷺ) ومنّا الصدّيق ومنّا الطيّار ومنّا أسد الله وأسد الرسول ومنّا سيدة نساء العالمين فاطمة البتول ومنّا سبطي هذه الأمة وسيدي

1 الشورى /30

2 موسوعة سيرة اهل البيت 15/189, 190

أهل الجنة ...أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى أنا ابن محمد المصطفى أنا ابن علي المرتضى أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا: لا اله إلاّ الله))[1] .

هـ- وبطابع الحزن الشديد والقلب الشجي والنظرة المشفوعة بالأسى والحسرة على أهل بيته وأصحابه وهو يرى أباه مقتولاً مقطّع الأوصال في كربلاء نجده يقول: ((أنا ابن المرمّل بالدماء أنا ابن ذبيح كربلاء أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء وناحت عليه الطير في الهواء))[2].

5-بيان أهمية مساعدات الكلام من إشارات وإيماءات معينة في إظهار المعنى المقصود ومثاله في خطبة زين العابدين (عليه السلام):

أ-في موقف دخول السبايا إلى مجلس يزيد وهم مكبلين بالحبال حيث أمر يزيد بقطع الحبال ثم التفت إلى الإمام (عليه السلام) فقال له: أيه يا علي بن الحسين أبوك الذي قطع رحمي وجهل حقي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت.

ب-حين التقى الإمام بالمنهال بن عمر وسأله كيف أمسيت يا بن رسول الله ؟ فرمقه الإمام بطرفه وقال له: أمسينا كبني اسرائيل في آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم .

ج-بعد اعتذار الطاغية من الإمام وطلب الإمام منه أن يريه رأس أبيه ويعيد للنساء ما نُهب منهن في يوم العاشر اطرق يزيد برأسه إلى الأرض يفكر في ما طلبه الإمام منه ثم رفع رأسه وقال له: أمّا وجه أبيك فلن تراه وأمّا ما أُخذ منكم فيرد إليكم وأمّا النسوة فلا يردهنّ غيرك وقد عفوت عن قتلك .

ومن كلّ ما تقدّم، فإنّ ما أودّ أن أخلص إليه القول هو أنَّ اللغة المبنيةّ على سبب من سؤال أو حادثة، واللغة الجانبية، ولغة الحركة الجسمية عناصر متكاملة لا يستغني أحدها، في الغالب عن الآخر وهي تشكّل مجتمعةً عناصر الاتّصال الإنساني. ومن ثمّ، فإنّ فهمها فهماً صحيحاً لا يكون إلاّ بدراستنا ظواهر الاتّصال المختلفة.وما يهمّنا هنا هو أنّ علاقة اللفظ بالمعنى لا ينبغي أن تفهمَ على أنّها علاقةٌ ثنائيةٌ بين اللفظ وما يشير إليه، بل على أنها مجموعةٌ من العلاقات المتعدّدة الأبعاد والصّوَر، وهي أساس علاقات وظيفية بين اللفظ في الجملة وسياقات حدوثها وهذا كله يصب في سياق الحال .

الخـاتمـــة

من ابرز النتائج التي توصل إليها البحث الآتي:

1-يعدُّ ظهور النظرية السياقية في الثقافة اللسانية الغربية تحولاً منهجياً في البحوث اللسانية فمنذ أن ظهرت البنيوية منهجاً بديلاً للدراسات التاريخية والمقارنة أحدثت ثورة في هذا المجال بعد ان اثبت اجرائياً أنّ الدراسة تتم على المستويات اللغوية المعروفة وقد أكّدت النظرية السياقية بزعامة فيرث أهمية هذه المستويات كما أضافت التأثير الخارجي للغة وهو الاحتكام إلى سياق الحال في تفسير اللغة .

2- إنّ التعرف على السياق غير اللغوي في كلام مكتوب يتأتى من خلال الظروف والملابسات المصاحبة للنص، والمسجلة كتابة، وكلما كان الوصف المكتوب وافيًا في بيان الموقف الذي تم فيه النص اللغوي، أصبح السياق غير اللغوي واضحًا.

3- لَمَّا كان السياق موضع اهتمام كثير من النظريات اللسانية الحديثة حاول البحث أن يخرج منها بمفهوم دقيق يشمل عناصر السياق اللغوي والحالي، أي ما يسبق النصَّ أو يلحقه، وكل ما يحيط به من ملابسات وظروف، فضلاً عن موضوعه وغرضه. وقد تمّت قراءة النص وتحليله في ضوء هذا المفهوم الشامل للسياق الذي أشار إليه العلماء القدامى إشارات متفرقة كما تمَّ الإفادة من الدراسات اللسانية الحديثة في مجال نظرية السياق وعلم النص وتحليل

1 المصدر نفسه15/188 , 189

2 نفسه 15/190

الخطاب، بالقدر الذي يقتضيه البحث مع مراعاة مناسبة ذلك لطبيعة النص المتخذ للدراسة والبحث والمتمثل بخطبة الإمام (عليه السلام).

4-أدرك علماء المسلمين القدامى مفهوم السياق بِمعناه الاصطلاحي، وقدَّموا أفكاراً وممارسات سياقية متميزة، أكَّدها البحث اللغوي وأثبت جدواها في التحليل اللغوي، وهذا يعني أنّهم سبقوا علماء اللغة المعاصرين الذين تُنسب إليهم نظرية السياق بأكثر من ألف سنة. وقد وجد البحث أنّ مصطلح السياق من وجهة نظر الدراسات اللغوية الحديثة يشمل السياق اللغوي والحالي أو كلّ ما يحيط باللفظ أو النص من ملابسات لفظية وغير لفظية، ويقابل هذا المفهوم مصطلحات مختلفة عند علماء المسلمين إذ استعملوا مصطلح السياق ودلالة السياق والدلالة السياقية وسياق الكلام وقرينة السياق، وأرادوا بذلك السياق اللغوي. واستعملوا مصطلح المقام والحال ومقتضى الحال والقرائن (غير اللفظية)، وأرادوا به سياق الحال، أي حال المتكلم والمخاطَب وموضوع الخطاب ومكان حدوثه وزمانه والمناسبة التي قيل فيها .

5-يوصي البحث بأن تهتم العلوم اللغوية بدراسة الأداءات الخارجية المصاحبة للكلام (اللغة الجانبية) بقدر الاهتمام بدراسة الأداءات الداخلية النابعة من القرائن الصوتية، والصرفية، والتركيبية النحوية، والمعجمية، والبيانية للكلمة أو التركيب؛ إذ لا يمكننا إدراك المعاني الحقيقية للكلام من خلال الألفاظ والتراكيب وحدها، بل هناك أداءات وقرائن خارجية (سواء أكانت صوتية أم غير صوتية) بما تضفيه من ظلال أو دلالات تسهم في التوصل للمعاني والدلالات الحقيقية للكلام.

6- اظهر الإمام (عليه السلام) في خطابه هذا سمو مكانته وخطر شأنه فلم يكلّم الطاغية بكلام الأمير والحاكم فاستهان به واستصغر قدره وتعالى عن حواره وترفّع عن مخاطبته ولم يحفل بسلطانه فقد كان على الرغم من ضعفه (عليه السلام) ومرضه وما المّ به من المصائب أعظم قوة واشد بأساً من يزيد وقد أعلن لكل من كان حاضراً في المجلس أنّ يزيد مهما فعل ومهما بذل الجهد الكبير لمحو ذكر أهل البيت (عليهم السلام) فأنه لا يستطيع إلى ذلك سبيلاً لأنّهم مع الحق والحق لا بد أن ينتصر.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- أساس البلاغة : الزمخشري، دار صادر للطباعة /1965
- أعلام الهداية : المجمع العالمي لأهل البيت، مطبعة ليلى /1425هـ
- بدائع الفوائد : ابن قيم الجوزية، إدارة الطباعة المنيرية، مصر
- البرهان في علوم القرآن : الزركشي، تحق محمد أبو الفضل ابراهيم، ط2، بيروت /1972م
- دلالة السياق : ردة الله الطلحي، جامعة أم القرى، 1424 هـ
- الدلالة السياقية عند اللغويين : عواطف كنوش مصطفى، دار السياب للطباعة، 2007م
- دور الكلمة في اللغة : اولمان، ترجمة كمال بشر، دار غريب القاهرة
- سياق الحال في كتاب سيبويه : اسعد خلف العوادي، دار الحامد للنشر والطباعة، عمان /2001 م
- الصحاح : الجوهري، تحق احمد عبد الغفور، دار العلم للملايين، ط2/1407هـ
- الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري : صلاح الدين زرال، مطابع الدار العربية للعلوم /2008م
- علم الدلالة : احمد مختار عمر، ط5، عالم الكتب، القاهرة /1998م
- علم الدلالة : فريد عوض حيدر، ط2، مكتبة النهضة المصرية/1999م
- علم اللسانيات الحديثة : عبد الجليل عبد القادر، دار صفاء للنشر والتوزيع /2001م
- علم اللغة : محمود السعران، ط2، دار الفكر العربي /1997م
- علم اللغة الاجتماعي : كمال بشر، دار الثقافة العربية للطباعة والنشر /1994م

- فقه اللغة في الكتب العربية : عبدة الراجحي، دار النهضة العربية، بيروت
- لسان العرب : ابن منظور، تحق عبد الستار احمد، دار صادر /1985م
- اللغة العربية معناها ومبناها : تمام حسان، ط3، عالم الكتب /1998م
- المرأة العظيمة قراءة في حياة السيدة زينب عليها السلام : حسن موسى الصفار، بيروت
- المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث : محمد احمد، دار النهضة العربية /1966م
- مقاييس اللغة : احمد بن فارس، تحق عبد السلام هارون، ط2، مطبعة البابي الحلبي
- مناهج البحث في اللغة : تمام حسان، القاهرة /1955م
- الموافقات في أصول الشريعة : الشاطبي، دار المعرفة، بيروت
- موسوعة سيرة أهل البيت : باقر شريف القرشي، تحق مهدي باقر القرشي، ط1، 2009م